صيانة وترميم الاثار

علوم ترميم وصيانة الآثار

من المعروف أن المادة الأثرية والمباني التاريخية تحمل قيما فنية وجمالية وتاريخية وحضارية، وقد تكون المادة الأثرية خالية من أي زخارف أو نقوش أو كتابات ولكنها تمثل قيمة علمية، والهدف من ترميم الآثار هو كشف القيم الجمالية والفنية والتاريخية لهذا الآثار وكذلك حمايتها طبقًا لما أقره القانون وأوصت به المواثيق الدولية لحماية الآثار مثل ميثاق فينيسيا 1966 والذي اعتبر عملية الترميم من العمليات عالية التخصص، وهذا كله يوضح أن أعمال الترميم للآثار هي إجراءات تتصل بمادة الأثر والحاملة لعناصر فنية وجمالية ينبغي فهمها وإدراك أسلوب تصميمها وتحليل تلك العناصر .إن التطور والتقدم السريع في الحفاظ على التراث الإنساني والحضاري والتطور في مفردات المواد التي تتعامل مع هذا التراث تؤدي إلي ضرورة تطور المفهوم العالمي لترميم وصيانة هذا التراث والحفاظ عليه .

مجال صيانة وترميم الآثار لا يعتمد فقط على المهارة اليدوية والخبرة الفنية فحسب بل يعتمد أيضًا على العلوم التكنولوجية والتي تكشف لنا ما في باطن الأثر حتى تكون قادرين .على صيانته وترميمه .وكذلك فإن هذا المجال يعتمد على الدراسات الهندسية والمعمارية والتطبيقية والفنية كما أن تطور مجال صيانة وترميم الآثار يتطلب منا أن نساير ما يستجد من طرق لتطبيق أفضلها حفاظًا على هذا التراث الخالد كما أنه يحتاج إلي قدرات متعددة وملكات متنوعة كالقدرة على البحث العلمي المستمر حيث أن مجال الصيانة والترميم متغير ومتطور دائمًا، كذلك يحتاج إلي المقدرة على التنفيذ لنتائج الأبحاث والدراسات المستمرة كما يحتاج العمل الترميمي إلي العمل الجماعي إذ يقوم به فريق متعاون من مرممين وحرفيين وأثريين ومصورين ورسامين ولا يمكن لأي فئة منها أن تعمل بمعزل عن الأخرى.

وقد أفاد العلماء أن ترميم وصيانة الآثار هو وحدة عمل متكاملة علمية وعملية تراقب وتدرس وتحلل وتفكر بناء على الأبحاث والمواثيق والخبرات لكي يكون ترميم الآثار هو علما يحافظ على حضارة الأجيال لكي يبقي الأثر كتابًا مفتوحًا أمام الدارسين لحضارات الشعوب وتاريخها .ولقد كان للتقدم الهائل في العلوم والتكنولوجيا دور هام لا يمكن إنكاره في مجال ترميم وصيانة الآثار ذلك الدور الذي يبدأ من لحظة الكشف عن الأثر ومرورًا بأعمال الفحص واختيار الوسائل المناسبة وإجراءات الترميم والصيانة

بشقيها وهي صيانة الأثر من مسببات التلف وصيانته من الأخطار والكوارث كما أن الترميم يحتاج إلي حس فني وذوق شخصي متميز لكشف هذه القيم من ناحية وإدراك هذه القيم وفهمها من ناحية أخرى وتوظيف ذلك عند إجراء أعمال الترميم المختلفة ولهذا يمكن القول أن أعمال الترميم المختلفة والصيانة للآثار هي عمليات علمية وتنفيذية1

نشأة وتطور الترميم والصيانة

ليس من السهل تتبع المراحل التاريخية التي تكشف عن نشأة عمليات ترميم وصيانة الآثار وتميط اللثام عن تطور هذه العمليات وتلك الفنون بكل دقة وذلك لعدم وجود وثائق كافية يمكن الاستناد إليها لتوضيح هذه الحقائق.

ولكن يمكن القول استنادا إلى مضمون مصطلح Resetoration الذي يعني إصلاح وعلاج ما تلف من الأشياء المادية التي لها قيمة نفعية أو جمالية أو تراثية بالنسبة للإنسان، فإن عمليات ترميم وإصلاح ما قد تلف من المباني والمقتنيات المختلفة قد عرفها الإنسان القديم منذ أن عرف حياة الاستقرار واتخذ له مسكنا سواء شيده من جذوع النخيل أو الأشجار وقام بتسقيفه بسعف النخيل والنباتات الجافة المختلفة وغطى سطحه الخارجي في بعض المراحل التاريخية بطبقات من الطين لسد الفراغات التي قد توجد بين جذوع الأشجار والنخيل، كما توصل الإنسان بعد ذلك إلى تشييد منزل أكثر قوة وصلابة من هذا المنزل البسيط حيث قام بتشييده بالطوب اللبن المخلوط بالتبن المقرط.

وعندما كانت تتعرض هذه المنازل للانهيار بفعل الزلازل أو الأمطار أو العواصف الرعدية أو الحرائق وغيرها من العوامل الطبيعية المختلفة كان الإنسان القديم يعيد بناء هذه المنازل أو إصلاح ما قد تلف من أجزائها.

وهكذا يمكن اعتبار هذه العمليات البدائية البدايات الأولى لنشأة ترميم المنشآت المختلفة وإصلاح ما قد تلف. ومع إنشاء المعاهد الأكاديمية المتخصصة في تدريس علم صيانة وترميم الآثار وغيره من العلوم المساعدة وانتشار مراكز صيانة الآثار في كثير من بلدان العالم المتقدمة مع مطلع القرن العشرين التي تهتم بالمحافظة على الآثار وحمايتها من تأثير عوامل التلف المختلفة أكدت أهمية علم صيانة الآثار ودوره الفعال في حماية الآثار القائمة منها خارج المتاحف أو المحفوظة داخل قاعات العرض بالمتاحف المختلفة. وأصبحت الدراسات العلمية والتجارب الميدانية التطبيقية التي يقوم بها خبراء صيانة الآثار

في شتى مراكز ومعاهد صيانة الآثار الدولية هي المعين الذي يطور علم صيانة الآثار ويمده بالحيوية ويؤكد شخصيته بين العلوم الإنسانية والتجريبية الأخرى.

مفهوم الترميم والصيانة

أولا :الترميم Restoration

لقد حظي مصطلح" Restoration باهتمام العديد من الباحثين الأوروبيين في ميدان ترميم ترميم الآثار في العصر الحديث .وقد اتفق الكثير منهم على المعنى الذي يدل عليه مصطلح Restoration حيث يطلق على الأعمال التطبيقية التي يقوم بها المرممون من أجل ترميم حماية المبنى الأثري من الانهيار أو التلف وبالإضافة إلى إصلاح ما تلف من المقتنيات الفنية المختلفة.

ثانيا: الحفاظ Preservation

أما مصطلح" الحفاظ " Preservation فيطلق على الأعمال التطبيقية والبحثية التي يقوم بهاالمختصون في صيانة الآثار في سبيل المحافظة على الآثار بشتى أنواعها وصيانتها من التلف في الحاضر والمستقبل مستعينين في سبيل تحقيق هذا الهدف بما وفرته لهم علوم الكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم التجريبية من نتائج علمية وأجهزة حديثة يستخدمها المختصون في صيانة الآثار، وكذلك في فحص مكونات الآثار المختلفة وتعيين خصائصها الفيزيائية والكيميائية وتحديد خطورة التلف الذي ألم بها ومظاهره المختلفة على أسس علمية واختيار أفضل المواد الكيميائية وأنسب طرق علاج وصيانة الآثار وحمايتها من التلف حاضرا ومستقبلا.

وهكذا نجد أن مصطلح الحفاظ في مدلوله أعم وأشمل من مصطلح الترميم وإن كان مصطلح الترميم يعتبر أقدم استخداما من مصطلح الصيانة في ميدان ترميم وصيانة الآثار.

من المعروف أن هناك علاقة وطيدة بين مصطلح صيانة Conservation ومصطلح Preservation فكلاهما مرتبطين بالفعل اللاتيني" Servare والذي يعني" يحفظ ويصون ويعالج.

ومن كل ما سبق يمكن القول أن مصطلح صيانةConservation يعبر عن تطور ميدان ترميم وصيانة الآثار، وبعد أن أصبح هذا المصطلح في الوقت الحاضر يربط بين مصطلح ترميم Restoration

وحفظ Preservation وأن عمليات صيانة الآثار بشمولها وارتكازها على ، أسس علمية وفنية متطورة أصبحت تشتمل على كل العمليات التي يقوم بها المتخصصون في سبيل المحافظة على التراث الإنساني المادي من الفناء والتدهور، كما أصبح المتخصص في يمثل حلقة الاتصال بين علماء الآثار وعلماء العلوم التجريبية التي صيانة الآثار تخدم ميدان صيانة الآثار وحفظها من التلف.

مناهج واساليب الترميم:

1-الأسلوب التحليلي الأثري:

وقد عرف هذا الأسلوب في بداية القرن العشرين، وتبلور في مؤتمر أثينا عام 1931 م، وعبر عنها الميثاق الإيطالي للترميم عام 1932 م، وقد تم وضع المبادئ الأساسية للأسلوب التحليلي في مؤتمر فينيسيا الثاني لخبراء الآثار عام 1964 م، ويعتمد الأسلوب على السماح بالأعمال التكميلية البسيطة فقط والتي تضمن سلامة الأثر ولا غنى عنها، وكذلك يهدف هذا الأسلوب إلى الحفاظ على كل الفترات التي مرت بإنشاء الأثر وعدم تشويهه بإضافات خاطئة، ومن المبادئ الأساسية للأسلوب التحليلي للترميم أنه يجب أن تقف أعمال الترميم حيث يبدأ التخمين، وأن أي إضافات جديدة ضرورية للأثر يجب أن ترتبط بالتكوين الأثري وأن تحمل طابعا معاصرا، وأن إضافات العصور الأخرى المختلفة يجب الحفاظ عليها، حيث أن وحدة الطراز ليست من هدف الترميم، وان الأجزاء التي يتم ترميمها يجب أن تتوافق مع الأثر، ولكن يجب تمييزها عنه حتى لا يعمل الترميم على تزييف المظهر التاريخي والأثري للمبنى.

2- الأسلوب التكاملي للترميم الشامل:

يهدف هذا الأسلوب إلى إعادة أبراز المظهر الكامل للمبنى في فترتة إنشائه الأولى أو في فترات أخرى من تاريخه، وعلى هذا فإنه لا يمكن أن نتجنب إعادة إقامة بعض العناصر على أساس الافتراض والمقارنة.

3-نظرية الترميم النقدي:

يتدخل في هذا الأسلوب من العمل الإبداعي الفني للمعماري والفنان وتتحول الأعمال إلى عملية إبداعية تنتج إبداعا فنيا، وبالتالي فإنه السمة الواضحة لنظرية الترميم النقدي، وهي الانتقال من موقف الاحترام الكامل للأثر المعماري كوثيقة تاريخية) وهو ما يميز الأسلوب التحليلي (إلى موقف التقييم النقدي له كإنتاج متغير أو مشوه. وعلى هذا فإن الأسلوب التحليلي) الأثري (للترميم هو الذي يحظى باستخدام واسع النطاق عند ترميم أهم وأثمن المباني الأثرية الموجودة بالعالم.